العلوم الطبيعية

ومبلغ عناية المسلمين بها

أظهر سمو سلطان حضرموت الموجود بمصر اليوم ميلا الى العلوم الطبيعية بقوله ان الواجب على علماء المسلمين أن يعنوا بهذه العلوم لمكانتها الممتازة لتثقيف العقول والمدارك وهي متفقة مع الدين . ومن الواجب أن يتفقه العالم في الطبيعيات كما يتفقه في العلوم الشرعية . . الخ

ولما كنت من الذين درسوا هذه العلوم بما فيها من علم الفلك وعلم الجيودوزية وحساب المثلثات الكروية وتطبيق الجبر على الهندسة بالتصورات الفراغية والنواميس الطبيعية والمعادلات والنظريات والمتساويات الميكانيكية قلت في نفسي لابد وأن احرر شيأ لبعض الجرائد التي أعمدتها مشحونة بالروايات وتاريخ زيد وعبيد في هاتيك الأوقات مع أننا في وقت اتسع فيه نطاق الحضارة والعمران لجميع البلدان في الغرب وقلت :

لا يخفى على البصير العاقل أو المتحقق الناقل أن مثل هذه العلوم هي أجل العلوم شأنا وأدقها بيانا وأجلها تبيانا حيث بها تعرف الكائنات بأسرها ونسبتها الى بعضها والى الانسان فيكون على ثقة من وجودها وخصائصها ومنافعها ومضارها فتحسن له بها الزراعه وتتسع بها دائرة الصناعة وتحصل الثروة والغنى وتكشف الامور النافعة المفيدة للانسان فيستخدمها في قضاء حوائجه وأوطاره ويعلم كيف يجب أن تخدمه في حرفته وحراثته وأعماله وكيف تقوم بأمر غذائه وغير ذلك وبها يعلم أيضا ما يضر منها وكيف يتجنب أو يقاوم المحذورات التي تنجم عنها . فهي من أهم العلوم وأشدها لزوما للانسان

ولا حرج والحالة هذه إذا قلنا ان الانسان ربما بلغ بها درجة يستعمل سائر

مافى الدنيا لفائدته وربما استخدم الشمس والقمر وسائر الاجرام المتلألئة فى كبد السموات وقضى حاجاته بهن خادمات له

وبالجملة فهى أجل صناعة لنجاح من اتخذها بضاعة خصوصاً في هـذا الزمان الذى اتسع فيـه نطاق الحضارة والعمران . فمنها اختراع جميع الآلات الصناعية التى عليها مدار نظام الهيئة الاجتماعية حيث توصل بها الانسان الى درجة سامية من الرفاهية ورغد العيش وأصبحت مصدراً للمنافع الادبيـة وقانوناً للتدبير والتوفير وكنز الفوائد وبهجة العقول حتى تعشقتها فى المنقول والمعقول وهامت بها الأفـكار فى ظلام الليل وضوء النهار وصـارت أحسن هاد الى السداد . وأفضل عاصم عن ارتكاب الفساد

وغير خاف على كل من تحركته الغيرة ونظر مثل هـذه الامور بعين البصيرة أنه اذا أثبت العقل بالفضل لعـلم بمنافعه فلم تبق حاجة لاقامة البرهان على لزومه أو للتردد فى حث مطايا الافـكار لاحراز فوائده التى ربما كانت أشهر من أن تذكر وهيهات أن تحصر

هذا بخلاف مايقوله بعض الذين يقرون بمنافع هذه العلوم ولـكن يزعمون انها مضرة فى الدين. فياحبذا لو نظروا اليها بعين الاعتبار وأنزلوها ولو منزلة القصص الوهمية أو بعض الأخبار مع انها وأيم الله أسمى من ذلك بكثير إذ هى للصانع والـكاتب والحاسب والشاعر والتاجر والوضيع والظالع والظليع خير أنيس جليس خبير . وهى لازمة أشد اللزوم لمن يريد أن يعتمد فى حياته على أشـغال العقل وأعمال الفـكرة مهما كان البحث الذي يشتغل فيه

ألا ترى الذى تثقف عقله بها واستنار بسناها يسير على طريق الهدى في سواها من العلوم والمعارف بخلاف الذى لم يثقف عقله بها فانه يخبط خبط العشواء فى الليلة الدهماء . حيث يخلط بين الثابت والمتغير والمثقف عقله بها المتمرن على طريقها فانه يسرع بعد التميز بين المعلوم وعلله الى البحث عن العلل ومعرفة ثابتها من متغيرها وتعيين التغيير الذى يلحق بالمعلوم من تغيرها

اذا نظرت الى قول الطبيعى الرياضي عن حرارة الشمس مثلا لوجدته يقول :

ان حرارة كل يوم من الأيام تابعة لأمرين وهما موقع الشمس فى السماء والعوامل الجوية وأخصها جهة الريح الهابة يومئذ

ومن نظر الى الأرض يرى الحر والبرد يتعاقبانها . وأجزاؤها تجتمع وتتألف ثم تتفرق والجذب والدفع متسلطان على كل ذرة فيها . فالحرارة تجدد دقائق الأجسام وتفرقها وتصيرها بخاراً . والجذب يقرب هذه الدقائق ويرجعها سائلا يكون الأمطار التى تملأ البحار والأنهار

والهواء والماء يمزقان الصخور ويفتتانها والجواذب الطبيعية والقوى الكيماوية والحيوية تجمع هذه الفتات وتعيدها صخراً صلداً

والأرض كلها فى اضطراب دائم وحركة مستمرة بين قوتى الجذب والدفع والتخالف والتضاد . ومهما ظهرت ثابتة فانها تدور على محورها في كل أربع وعشرين ساعة حول الشمس مرة فتسير بالبلدان التى على خط الاستواء سبعة عشر ميلا فى الدقيقة الواحدة وتدور حول الشمس مرة فتسير بنا كل يوم أكثر من مليون ونصف من الأميال

واذا نظرنا الى قوله عن كسوف الشمس لوجدناه يقول

كسوف الشمس على ثلاثة أنواع كلى وجزئى وحلقى وهذه الانواع ان القمر قد يقترب من الأرض حتى يظهر قرصه أكبر من قرص الشمس للواقف على سطح الارض . وقد يبتعد عنها حتى يظهر قرصه أصغر من قرص الشمس وقد يكون بين بين بحيث يظهر قرصه مساوياً لقرصها فاذا اتفق أنه مر أمام الشمس وقرصه أكبر من قرصها كسفها كسوفا كليا بالنسبة الى الواقف فى مركز ظله وجزئيا بالنسبة الى الذين على جوانبه

واذا مر أمامها وقرصه مساويا لقرصها كسفها كسوفا كليا أيضا عمن تحت رأسى ظله حال مروره أمامها وكسوفاً جزئيا عمن حاد عن رأس الظل

واذا مر أمامها وقرصه أصغر من قرصها لم يصل ظله الى الارض والواقف تجاه رأس ظل القمر يرى الشمس المكسوفة حلقة مضيئة فيكون الكسوف عنده حلقيا وأما الواقف منحرفا عن رأس ظل القمر فيرى جزءاً من الشمس مضيئا والباقى

مكسوفا . واذا نظرنا الى قوله عن الشمس نفسها لوجدناه يقول :

ان الشمس أهم لنا من كل النجوم وهى أكبرها منظراً وأوسعها نوراً وأشدها فى أرضنا تأثيراً . وهى مركز للنظام الشمسي وحولها تدور أرضنا والسيارات رفيقاتها . ومنها يستمدون النور والحرارة وبها تقوم حياة مافيهن وتحدث كل التغيرات التى تطرأ عليهن من برد وحر وصحو ومطر . الخ ولا يصلنا من نورها وحرارتها الا جزء واحد من الفين وثلثمائة الف جزء لأن أرضنا لا تتعرض الا لهذه الأشعة من كل أشعة الشمس المنتشرة فى الفضاء والظاهر أن الشمس هى الكتلة الأصلية التى انفصلت منها جميع السيارات فهى بهذه المثابة والاعتبار أمهن تقوتهن بنورها وحرارتها وتمسكهن حولها بالجاذبية التى بينهن و بينها فهى ثابتة وهن يدرن حولها فى نواحى السماء .

وقرص الشمس لا يبقى على حال واحدة بل يكبر في الشتاء و يصغر فى الصيف وسبب ذلك أن الارض تدور فى دائرة قطع ناقص حول الشمس ومن الامور الواضحة انه اذا اقترب الشيء الينا كبر واذا ابتعد صغر حتى يختفى بصغره فالقمر يظهر بقدر الشمس وهو أصغر منها بكثير لأنه أقرب منها الينا وصغر الشمس عندنا هو لبعدها الشاسع فالسيارات التى هى أقرب منا الى الشمس ترى الشمس أكبر مما نراها نحن والتى هى أبعد نراها أصغر .

واذا نظرنا الى قوله عن القمر لوجدناه يقول

القمر جرم كروى يستمد نوره من الشمس ثم يعكسه الى الأرض فيرفع ظلام الليل عنها وهو أقرب الكواكب الى الأرض وأوضحها منها منظراً وأكبرها بحسب الظاهر إلا الشمس غالبا وهو أصغر من الأرض بقدر تسع وأربعين مرة فى الحجم ويتبعها دائراً حولها مرة فى نحو تسعة وعشرين يوما ونصف من هلال الى هلال و بعده عنها ٢٣٩٠٠٠ ميل فلو سار اليه مسافر سيراً متواصلا ليلا ونهارا على معدل ستة أميال فى الساعة لبقى على الطريق نحو ١٦٦٠ يوما ودورانه حول الشمس ظاهر لكل مراقب ألا ترى أن الهلال يغيب في أول ليلة مع الشمس ثم يتأخر عنها ليلة قليلة حتى اذا صار بدراً أشرق عند مغيبها فذلك انما كان من دورانه حول

الارض من الغرب الى الشرق . وأما شروق القمر والشمس وسائر الكواكب وغيابها كل يوم فذلك من دوران الارض على محورها مرة في كل أربع وعشرين ساعة لا من دوران الاجرام نفسها : فدوران القمر حول الارض هو الظاهر فى تأخره عن المغيب يوما فيوما وهو غير دورانه المماثل لدوران بقية الكواكب بالظاهر . (وكل فى فلك يسبحون)

ومن الغرائب التى حملت الأقدمين على مراقبة القمر اختلاف شكله من يوم الى يوم آخر فتراه تارة دقيقا أعقف وتارة قرصاً مستديراً يضرب به المثل فى الجمال عند الشعراء وتارة بين بين وتارة أقرب الى الهلال وتارة أقرب الى البدر وهو على كل ذلك قمر واحد ولو لم نكن قد اعتدنا مشاهدة ذلك لعجبنا منه غاية العجب فاذا كلمنا انسان فى هذا الموضوع ولم يكن له اطلاع على علم الفلك الطبيعى الرياضى لقال ان هذا حديث خرافة يا أم عمرو

واذا نظرنا الى قوله عن المطر لوجدناه يقول :

اذا عملت الحرارة في الماء لطفته فيخف فيصعد فى الهواء واذا عمل البرد فيه تكاثف وانضغط وعاد الى ما كان عليه وذلك نتيجة الظواهر الجوية الطبيعية فالبحار والبحيرات والأنهار ونحوها كلما شرقت عليها الشمس عملت بها الحرارة فتسخنها فيتلطف ماؤها ويصعد وينتشر متخللا دقائق الهواء شفافاً لا يرى فيبقى فيها الى أن يطرأ عليه عارض

واذا كان الماء قليلا جف وترك مافيه : ألم تر الملح يبقى فى نقر الصخور بعد جفاف البحر منها وعلى ذلك تتبخر المياه ويقى الجو بجارها لسكب الرحمة واحيا الأرض

والحوادث الجوية من المطر كقوس قزح والهالة وكيفية الأنباء بالطقس متوقف على قياس آلات المطر ومعرفة مقدار الرطوبة فى الجو واقتراب الانواء والصحو

والهواء سائل كالماء يضغط مثله الى كل الجهات ويختلف عنه بانه يضغط الى مالا نهاية له . وأما الماء فقليل الانضغاط ولذلك قد اخترعت الآلات الهوائية والمائية وهي ألذ فى الكون من بدائع الأحكام وغرائب الانتظام فان العلم بها خير

من العلم بالقاصيص الحب والغرام وأحلى من نوادر لاتتاق بين الأنام

ألفات نظر

هذه أقوال قلت عليها براهين ساطعة ودلائل قاطعة يؤيدها العقل ويعضدها الانصاف وتسلم بها البداهة نظرها من له فى ربوع المجد نفر وارتفع فى مراتب علمها ذكر وقال أنها لا تمس عقيدة ولا تنقض أصلا من أصول الدين على أن الذى يراها مغايرة للدين لم نظهر له مغايرتها إلا لعدم اشتغاله بها فلو اشتغل بها لأمكنه أن يردها الى أصولها بالتأويل أو بالقياس أو يدافع عن أصولها ليبيان الفساد الذى يراه فيها ورده لها دفعة واحدة بلا نظر ولا استدلال انما هو تعصب للجهل لا للعلم والدين فانه لا يمكنه أن يقيم حجة على فسادها وهو لم يشتغل بها مع أن المتقدمين من علماء العرب قد اشتغلوا بها وبينوا الصحيح منها والفاسد علماً وعملا قولا وفعلا والآن صرنا نفتخر برممهم البالية وأيامهم الخالية . فتأمل

فكيف بنا اذا قام من قبره ابن رشد وأبو الوفا والغزالى والفارابى وفخر الدين الرازى وابن سينا وأبو القاسم والبستانى والطوسى والكندى والنيسابورى والخفاجى والفيروذى بادى والحلوكى وجابر وابن عرفى والسهروردى والصولى والباقلانى والشهرستانى وسيبويه والجرجانى والعضد والزمخشرى والطبرى وابن منظور والشريف الادريسى والكسائى والجوهرى وابن حوقل والحريرى والتلمسانى والشيرازى وابن دريد وابى عبيد، وابن هانى وابن النحاس والتاج المراكشى وابن الخشاب والباجى وابن دحية والكلبى والمسعودى والشاطبى وابن طارق وابن بصيلة وابن معطى وابن خزيمة وقطويه والاخفش الصغير والترمذى والابيوردى المازنى والسيرافى والبدر الاسترى والهمزانى وابن مكتوم وابن خالويه وابن الجصاص وابن بقيه والهروى وابن الخياط وابن الصلت والقالى والبيهقى وأبى سعيد الاصطخرى والواقدى وابن برهان ومالك وابن أنس وأبى حنيفة وابن حنبل والشافعى والبخارى وابن الزيات وابن الدهان وابن عطا وابن مقلة وغ . . الخ وغيرهم من علماء هاتيك الازمان الذين صرفوا حياتهم الطيبة فى خدمة العلوم وتنوير الافهام والعقول وتوسيع العمران بمؤلفاتهم وتعاليمهم ونظروا أن بعضا من ذرياتهم لم يزل يقول أعوذ بالله

من شر علماء الطبيعة والفلك والرياضة ويجدوا عيونهم محولة عن هذه العلوم وعن براهينها الباهية الباهرة وآذانهم صما عن سماع أحكامها الزاهية الزاهرة ولغاية الآن لم يستوعبوا فحواها ولم يتحققوا دعواها بحجة أنها تخالف ما أنزله البارى بادلة سرابية وبراهين سفسطية خالية من الصحة والثبوت كأنها أراجيف أو هى من نسيج العنكبوت .

تالله لقد وقفت أفكارهم مقام الدهشة والحيرة وأبى بخفى حنين لايسين من الخيبة بردين لانطفاء مصابيح علومهم وذهاب نور فنونهم التى تبدد شملها وتلاشت وفنت آيات مجدها بعد أن أشرقت عليها شمس المعارف والبيان فى سالف العصر والأوان أيام كان الغرب لا يميز من الحيوان سوى خاصية اللسان يتخذ الكهوف والأكواخ مسكنا وداراً وجلود مايقتات به من الحيوانات لباسا واسعا

والآن

جنى مالذ وطاب (ونحن فى علقم الأسف ومر العذاب) وجد فى سبل ترقيتها وسهل وسائط ممارستها وأتقنها في هذا العصر الى درجة يكاد لايكون عليها مزيد عند ذلك يندبون سوء حظهم ويوجهون الى أحقادهم نبال زجرهم وملامهم قائلين لهم

مالكم جئتم بعدنا وضيعتم ماشيدناه لكم من معارف العلوم والطائف العقول والمفهوم مما كان سبباً لترقى من كان يذهب مع الوحوش فى خلواتها والطيور فى أوكارها والآن أخذت العلوم تنشر فى بلدانه حتى أصبحت نبراس الحكمة ومشكاة الهدى فيا أيها الأبناء والأحفاد أنتم الوارثون لنا فى لغاتنا واعتقادنا أنتم الأولى بالمحافظة على ماشيدناه لكم فى أزماننا أنتم الأقربون الى تلافى مافات أو ضاع من علومنا فانهضوا اليوم نهضة الحكيم العارف واطلبوا هاته العلوم من هاته البقية التى هى بين أيديكم ولا تخرج عن عدد الأصابع والكتب التى تركناها لكم والكتب الحديثة التى ترجمت الى جميع اللغات وهى هى التى تحيون مافات من تلك العلوم وتدونوا بها الحقائق حتى ينفى عن الأذهان ماهو قائم بها من تحرير دراسة العلوم الطبيعية الرياضية والفلسكية التى انتشر بها عرف المعارف وانبثت بها روح الانسانية و بذلك

ومن شق منكم عباب بحار أو جاب مفاور قفار لحملته سفن الرجاء الى ما يؤمل وأوصلته مطايا النيات والصبر الى قصده العلمى الشريف حتى اذا برز له فى بيداء مقاصده قاطع طريق لرشق سهم عنايته فى صميم فؤاده وأهلكه ورمى به فى مهاوى العدم والفناء فيعود وقد استخلص من كل شيء لباب اللباب لكي يعود راضيا من النتيجه والأياب

وهذه أقوال ذكرناها لكم على سبيل الاستطراد اذ كنا أن تكونوا الوارثين لنا فى العلم العارفين بفضله حتى لا تكونوا مثلة بين بلدان الغرب بأنكم لا تعرفون الا الفرائض فقط وما يتبعها على أنكم منسوبون لنا اذ مامن أحد منا مات إلا وله فى جميع العلوم من معقول ومنقول وطبيعيات ورياضيات وفلكيات وغيرها مؤلفات استنارت بها الامم التى سبقتم في مضمار الجد والاجتهاد

هذا ما اختلج بفكرنا ودار بخلدنا أوضحناه لكم بأوفى تعبير قد تيسر لنا على قدر الامكان ومساعدة الزمان فان رأيناكم أصبتم شاكلة الصواب فيما أشرنا اليه دللناكم على ما تفعلونه وتعولون عليه بكيفية أوضح لذى عينين من الصبح فى وضح النهار بين الفلكين والفقيه وما دار بين الاثنين

وهذا مطلب سهل وصوله ومأرب يتيسر لكل أحد حصوله وأن توجدوا جمعية تتركب من علماء ذوى خبرة وبصيرة ومعرفة بقدر خدمة الوطن ومحبته يعرض عليها كل أقواله فان وجدتها حسنة مقبولة أذنت له فى نشرها وان كان على خلاف ذلك منعته وبينت له وجه فساده وخطأ اعتقاده وفيكم من ذوى المعارف والفضائل كفاية لوصولكم الى أحسن غاية والله الموفق

مما يؤدى الى العجب

شاب مسلم يبيع الموت بالذهب

أراد شاب أن يتزوج بفتاة مسلمة وقال لها انه مشهور ورئيس شركة كبيرة لبيع الخمور ولها جملة فروع فى عدة جهات . يتبع كل فرع منها عدة حانات . يؤمها كثيرون من الافراد والجماعات . ويمضون بها أغلب الاوقات . ويقضون فيها أوطارهم من مختلف اللذات . بل يأتون القبائح والمنكرات . ولهذا الشاب ثروة كبيرة وضياع كثيرة وأملاك وفيرة

ومما قاله لها أنه أولى من غيره بزواجها . لأنه مدخل السرور على الجمهور وبما يقدمه اليهم من أنواع الخمور . ولم يكن يدري أنه بقوله لها ذلك . تضيق دون تحقيق غرضه المسالك . و يعلن عن نفسه لديها مورد بانه المصائب والمهالك ولذلك رفضته ولم تشأ الاقتران به . وأرته أن ماظنه شرفا وفخاراً . لايجلب إلا عاراً وشناراً . وأن ماعداه خيراً . ليس إلا شراً وضيراً و بعثت اليه فى جواب الرفض تحيله الى قراءة جريدة شرقية . تحوى مقالة طلية لأحد كتاب الشرق الأدباء العقلاء الحكماء النبهاء النبلاء فى النعى على بائعى الخمر جالبي الشر . المفسدين على العائلات الأمر المتسببين في تقلب أكثر الأسر على الجمر . أولئك هم بائعوا السموم والآثام وناشروا الفساد بين الأنام . ومساعدوا أكثر الرعاع على ارتكاب الاجرام ودونك صورة الجواب التى لفتت نظره اليها . والتى تجر الآداب والفضائل أذيالها طربالها واعجابا حيث قالت

لم يشهد الناس فيما شهدوا من آثار الدهور و بقايا العصور ولم يقرأوا فيما قرأوا من سير الماضين . وأخبار الغابرين ولم يسمعوا فيما سمعوا من أفواه الثقات وألسنة الرواة . أن احداً من ولد آدم وبنى حواء اتخذ الموت سلعته وحرفته . وأمسك المنية بيديه كما يمسك التاجر عروض تجارته ثم جعل يبيعها للناس بالدرهم والدينار وجعل الناس يذوقون حرارتها ولا يستطيعون ذوق غضاضتها إلا بعوض ثقيل . و بذل جزيل

غير قليل ولم نر فى تاريخ الأرض ولا أنباء السماء . منذ فطر الله الخلق وعرف الحق أن رأى العالم خبراً أو أثراً أو إشارة . أو عبارة . أو قصص لرواية . أو طرفا من حكاية . يدل على مكان أعطى لتاجر المنية على الكرة الأرضية أو زمان مر ينبيء عن تجار الحمام إلا فى هاتيك الأيام . حتى لايكاد يدخل ذلك فى متناول عقل الجبان قبل الانسان الذى ملكته الحيرة فى معرفة تلك الحال . التى تعرض على الرجال والنساء والأطفال من شخص مسلم فى جلدة اهابه . وقوة شبابه فى مهنة تهد بنيانه وتدك أركانه . حتى تتعجمه فى نفسه . وتوليه إلى رمسه . وتخفى شمسه . اللهم لاجدال فى هذا الحال وإن كنا فى عصرنا هذا ووطننا هذا . نرى باعة المون يقفون لخفاف الأحلام فى كل مرصد يوردونهم موارده و يمدون لهم من أسبابه مالا يحمدهم عليه إلا عزرائيل . و يهيئوا لهم من وسائله الشرور بدل السرور والأتراح بدل الأفراح والانشراح حتى لايكون بينهم و بين الآخرة إلا هيئة اشباح فى أرواح وانفاس فى ارماس

أولئك فئة الاشرار من ضلال الفرنجة يدلون عن مساقط رؤسهم ومنابت نفوسهم وإن بحثت فقل بلاء أصاب الاحياء . أو قضاء نزل من السماء . أو داء لايبرأ . أو جرح لايرفأ . أو نار وخراب ديار أو سهم مسموم أو مأمن محموم . أو قل دن كـكاس تدفن فيه أمة . أوسيف قطع اعناق جمة . أو قنطرة تقضى إلى مقبرة . أو بحر يغرق فيه راكبه . ولا ينجوا منه شاربه . أو سبائك ذهب كانها لهب يتحم وحطب . كوى القلوب . بعد ان تذوب أو شهاب انقض فأصاب أوعقاب فيه العذاب أو جحيم سكن فيه الشيطان الرجيم .

ثم الهول لامة أو الويل لها متى كثر فيها اهل الحيل الذين يضخمون الالقاب والاسماء لبعض الناس العبطاء البلهاء الجهلاء . الذين يكتسبون كل ليلة لعنة الجدود والامهات والآباء إذ يجهل كل منهم ابا يطالبه . أو اخا يندبه . أو اما ترتقب ايابه أو زوجا تستبطىء غيابه . أوابن يدعوه فلا يجيب النداء أو طفلا جاوه اليتم وابويه فى الاحياء

كذلك لم نر عقلا يغيب وهو قريب او نفسا تطيب بالتعذيب . ولا روحاً ترى

السرور مطية القبور . ولا وجوداً فى عدم . ولا حياة فى صنم . ولا ميتاً يدركه الاحتضار بالنهار . ويحيى فى الظلام . إلا فى اضغاث الأحلام . ولا جبانا يريد الاقدام . من داعية الاحجام الا حين رأينا صريع الكاس يعاقرها فتعقره و يكبرها فتحقره . يغرم بها فتهلكه . و يبتلى بحبها فتتركه . و يشبهها فتجيعه . و يحرص عليها فتبيعه و يرفضها فتضعه ويضل فى سبيلها فلا تدعه

هذا هو الذي حياته بؤس وشؤم ونقمة ولؤم . يراه الناس فى العلة . عائشا يائسا يائسا حقيراً فقيراً رديئاً دنيئاً سفلا مضلا غارقا فى الذلة

ملحوظة

انك لتعجز أيها القارىء الكريم عن ادراك الحكمة فى استعمال الرأفة مع من يقتل أمة بأسرها وكفالك هداية الى الرشاد بأمة اليابان أعقل منا وأحكم لأن قانونها يحكم بالموت على بائع الموت ومن يحاول قتل أمته وأهل عشيرته

ولما كانت الجرائد والمجلات هى المربى بالحسكة والمشير بالصواب والزاجر الصادع وجب عليها أن تنبه الغافلين وتوقظ النائمين عن هذه الموبقات من المخدرات بدليل

أننا فى المدارس الحربية كتلاميذ كنا نسمع من الاساتذة قولهم أن قوة الآحاد في آلافها وسلامة الآلاف فى الآحاد ولذلك وجدنا بعضا من تلاميذ مدرسة البيادة ، والسوارى والطوبجى يشربون الحشيش فى بيوت الأدب . ولذلك قام فتى من مدرسة أركان حرب محمد كامل « باشا » الآن وكتب على حيطان المدرسة و بيوت الأدب ليلا قوله

قل لمن يشرب الحشيشة جهلا ياجهولا قد عشت شر معيشة

دية العقل درة فلماذا ياجهولا قد بعتها بحشيشة

وما أدرانا أن كل شاربي الحشيش قد تابوا الى الله « والنعيم المقيم فى معاهد الآداب والتعليم »

وهذا من واجبات تلاميذ وضباط اركان حرب الجيش الذين ألغيت مدرستهم بمجرد أن الاحتلال وطىء قدمه مصر الاسيفه . والآن نسمع أن الجرائد كثيرة وضباط أركان حرب كثيرين بالجيش المصرى ولم يترقوا من مدرسة أركان حرب بل

أركان كرب . ولم نر منهم نصيحة صريحة وعظة موقظة

ومن الأسف أنى قرأت امر مدير السكك الحديدية يقول

ومن المرخص لهم دواوين صغيرة بالقطورات هم فلان وفلان و . . الخ

ومفتى الديار المصريه ورئيس أركان حرب الجيوش المصريه . مع علمنا أن مدرسة أركان حرب ملغية من الديار المصرية ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم في كل من كان السبب فى هذا التعب والشقاء والنصب لأن ضباط أركان حرب فى كل أمة هم اليد اليمنى للملوك والسلاطين والأمراء والوزراء والحكام . على ساعدهم يعتمد هؤلاء في كل أمر مهم يتعلق بعلو شأن المملكة وصد الاطماع عنها . هم المعراج الذى يرتقى عليه الأهالى لبلوغ العلا . والوصول الى قمة الفخر والفلاح والصلاح والاصلاح والنجاح . هم الذين تعلموا فنون حساب الخروج قبل الولوج والصدور قبل الورود . هم الذين عرفوا أصول الوقاية والحماية والتحفظ والاستحكامات والحصون والاحتياطيات هم الذين يضرب بهم المثل فى الابصار حتى صاروا أبصر من زرقاء اليمامة وأدق فى الحكم من خزامه وهم الذين يعرفون الوفاء لأمتهم قبل غيرهم لقيامهم بأشق الاعمال المحفوفة بالأهوال . وهم منبع الاقدام والشجاعة والحصانة والمناعة عليهم يعتمد وبهم يوثق ومنهم يستمد فلهذا أخذت على نفسى عهدا كأخواني ضباط أركان حرب أن لا نتأخر عن ابداء ملحوظة أو نصيحة بالمجلات والجرائد بأمل اصلاح الخلل

والله فى عون العبد مادام العبد في عون أخيه

من موجبات الاسى والاسف

اتخاذ العلم وسيلة التلف

أراد شاب رئيس فابريقة كبرى للآلات الحربية كصب المدافع من نوع الاسترونج والكروب والهاون والمكسيم والمتراليوز والمنكريف والرشاش . . . الخ وعمل البنادق والرفورفات وصنع الاسلحة من شيش وسنك وفراريك . وعمل البارود والغازات الخانقة الفتاكة وآلات التدمير والاهلاك وأمثالها أن يتزوج بفتاة مؤدبة مهذبة متعلمة وقد وصف لها حالة نفسه وحقيقة عمله ويفتخر بانه مشرف على أعمال القوة التى بها أعزاز الدول وسطوة الحكومات القوية على الضعيفة ويأس الامم والاختراعات الجهنمية التى يمكن بها العدو القادر أن يفنى عدوه الاعزل فى لمح البصر وو . . الخ ظنا منه أن ذلك يرغبها فيه . ويقربه من أمله عندها ويدنيه . ولكنها رفضته واستبشعت عمله . وشنعت على أعمال القوة ووسائل الاكراه الغشومة بين بنى الانسان التى تنافى العدل والاحسان . وتجافى الكرامة وتبتعد عن الرأفة والمروءة والشهامة والسلم والوفاق الذى يجب أن يبتغيه كل انسان . واستقبحت ماعليه أكثر الدول فى هذا الزمان من اكرام واحترام واجلال واعظام . أهل الاختراع والابداع . فى فناء العالم فى لحظة من الزمان . والركون إلى مثل هذه الوسائل المنافية للانسانية . البعيدة بمراحل عن المدنية الحقيقية . المتخذة من العلم سلاحا يستعمل فى الشرور والمفاسد لا فى المنافع والفوائد بما يرعب النفوس وقد بعثت لهذا الشاب بما فيه من اللوم والعتاب لمن يتخذون العلم شباكا ويجلبون على العالم عذابا وهلاكا وقالت كان العلم مطلع النور وهدى الانسانية فانقلب ظلاما وضلالا وكان العدل شريف الحياة ومنهج السعادة فارتد قسوة وشقاء . وكانت لذة الملك الواسع ونعمة السلطان المبسوط أن يعيش الانسان فى دعة من العيش وطمأنينة تسكن اليها النفس . فصارت سعة الملك غصة قاتلة . وبسطة السلطان نقمة نازلة . فأى بلاء

أصاب الدنيا فأرداها وأى جنون ذهى الناس فأشقاها . لم يزل العلم مطلوبا للسعادة حتى اكتنفته الاطماع واحتواه الشره . فجعلوا يستوعبونه حتى خيل الى الناس أنهم أصبحوا آلهة العلم وأن صدورهم أصبحت خزائن الحكمة . فلما استقاموا على طريقته ومزقوا الحجب عن قدرته . استنبطوا من مسائله وفضائله وقضاياه ومقادع تسحق الاجساد وتفتت الاكباد وتفنى العباد وتزلزل البلاد بمدافع تقذف الموت الرؤام ومقذوفات تمزج الماء بالنار وتغرى عالم البحر بعالم البر .

رأوا إلا أن يكون ذلك كله عذابا للانسانية الوداعة البريئة . وليت أن الانسانية جنت فاستحقت هذا العذاب ، حتى يكون العذاب عدلا والعقاب انصافا .

كانت الارض نير بالأنسانية ، أيام وقع فيها الجهل وأطبقت عليها العماية مما كانت حين انبثق نور العلم وتفتحت عين المدنية . وكان الانسان الوديع الذى اتخذ اللين والرفق فى عهده المتحضر وأيامه المضيئة بالعلم سبيلا لهناء الدنيا ونعيم الحياة أدرك انه جنى على نفسه حين تخلق بالرفق واللين فرضي بان يحتمل الآن شديد العمل للنجاة وهو يعلم أنها عقوبة اهماله الماضى

نعم قال الله تعالى فى كتابه العزيز (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) وقال جل وعلا (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) ومن الاسف وألف أسف على أسف أن الشرق قد صار الآن شرق « بلا قاف » وبلاد « بلاد دال » (أى شرو بلا) وأنه مجرد من كل سلاح للقتال والكفاح بل أن العالم من شماله الى جنوبه ومن شرقه إلى غربه صار كالسمك فى البحر يأكل كبيره صغيره بدون شفقة أو رحمة مع أن الانسان خيره الله وأعطاه عقلا وضميرا حتى لا يعتدى الكبير على الصغير بدون وجه حق وكفى الأنسان شريعة الأديان فى كل البلدان التى تعرف قول الأدباء والحكماء العقلاء الأزكياء النبهاء النبلاء . إذا شئت أن لا تؤذى فلا تفعل الأذي

ملحوظة

ناهينا أن العقول أشرف الحواس وأعظمها وقديما كانت هى السلم التى يرقاها الانسان إلى أرفع المناصب . فكانت (روما) ترى العاقل ورجل الجيش أعز الناس جاها وأرفعهم شأناً إذ لافرق بين الذين يحمون الاوطان بألسنة كالسلاح يحاربون بها الظلم الذي يؤدى بالوطن إلى الخراب والدمار بدل جيوش الانحدار والانكسار وبدل الظفر والانتصار بقواد أشرار خائنين . كما حدث بين الشراكسة والعرب فى ثورة العرابيين . ولعنة الله على الخائنين .

قوة الارادة

مطية السعادة

شاب يدعى أنه من أفاضل العلماء المبرزين واكابر الكتاب المؤلفين ، واصحاب الفكر المعدودين ، وله نفس عالية ، واغراض سامية اراد ان يتزوج بفتاة متعلمة مهذبة مؤدبة مسلمة واشترط عليها انه بعد اقترانه بها سوف يشتغل بالتأليف والتصانيف ، والتحرير ، والترصيف ، مما ينفع الناس ، ويتخذ فى حياتهم اعظم نبراس ، وانه سوف يهذب اخلاقهم ، بما يؤلفه لهم ، من مبتكرات فكره ، ورقيق خياله وشعره ، وآثار قلمه وعزيز علمه واخذ يضرب على هذه النغمة ، فى جوابه الذى بعثه اليها ويسير شوطا بعيدا فى بيان هذه الأمانى التى يرجوها من وراء الافتراق بها ولكنها رفضته ، واستصغرت همته ، وعدت كلامه حجة عليه ، وسببا فى توجيه الملام اليه ، واستدلت به على ضعف ارادته ، وصغر قيمته وقالت له فيما قالت

انه لو كان حقيقة كما يقول لنفع امته قديما بهذا المأمول ، لأن العالم بين الناس كالسراج ينير على من حوله سواء أكانوا فى مدينة او فجاج ، وليس ذلك متوقفا على عزوبة او

زواج ، واعطته درسا عالياً في قوة الارادة وانها في الطبيعة مطية السعادة ، حيث بعثت اليه تقول اذا كنت عالما يضم صدرك من العلم ما يضم البحر من الماء فانك لا تنال درجة المجد العلمي إلا ان تشرق على الناس شمس العلم من مطلعها في صدرك فتهديهم ، وتغدق عليهم ما شاء الله من اسباب الحياة والنماء والبهجة فان لم تكن كذلك كان علمك معطلا بل لم يكن لك لأنه لم يدر عليك فائدة ولا لغيرك من الناس ولم يستدلوا عليه بأثره فينتفعوا به ، و يعرفوا لك فضلك

هذا العلم المعطل ، كالسيف مطروحا بين العصى لاقيمة له إلا انه قطعة من الحديد وكالمصباح في الخزانة الضيقة المغلقة لا يكشف نوره حجاب الظلام

الغاية من هذه النهاية

ان الارادة اصل النجاح في كل شيء فهب ان انواع الكفاءة وضروب الاهلية الفائقة توفرت للناس جميعا فهم لا يزالون هملا مضيعين مالم تتوفر لهم الارادة ارادة الانتفاع بكفاءتهم فيما هي له ثم انتفاع امهم ثانيا ، بذلك وفق الله من اراد الخير لأمته ونفعها باثار علمه وكفاءته سواء أكان عالماً او طالباً متزوج او اعزب .

ايام النشور بعد الممات

تنبه العقلاء الى تدارك مافات

أراد شاب صحفى أن يتزوج بفتاة فلاحة من بلاد الأرياف . وقد رغبها في أن يذهب بها بعد موافقتها على الاقتران الى السياحه فى القطر المصري فى وجه قبلى ووجه بحرى حتى يصدر صحيفة سيارة . وذكر لها من فضائل مصر والمصريين مايشوقها الى الرحيل لمصر والاقامة فيها ووصف لها مصر وجوها وصفاء نيلها و بديع آثارها وجودة هوائها ، ولطف أخلاق أهلها . ولكنها مع ذلك رفضته و بنت هذا الرفض على أن مصر وأن كانت قد جمعت هذه المحاسن التى ذكرها ولا يسعها انكارها الا أنها قرأت فى بعض جرائدها مايدل على كسل أهلها وعدم اهتمامهم بعلم شؤونها حيث يتكلون فى أكثر أمورهم على غيرهم ولفتت نظره الى قراءة هذه المقالة التي بعثتها اليه ليعرف خطأه فيما كان قد عقد نيته عليه . واليك هذه المقالة التى تدل أكبر دلالة على ما تقول ، ويجب أن يتلافاه أولوا الأبصار والعقول وهى معنونة بهذا العنوان

« أيام النشور بعد الممات تنبه العقلاء الى تدارك مافات »

مرت على أهالى مصر أيام مريرة طوتهم فى أحضان الخمول ، والصقتهم بتراب الخمود والهمود والرقود . وكلما غمزت قناتهم صلبة الحوادث لانت . أو قرعت صفاتهم زواجر المزعجات انصدغت جوانبها . أو عصفت بهم هوج المحن اقتلعت من أغراس عزتهم ما اقتلعت وهدمت من صروح بنائهم ما هدمت فكان العالم متحركا وهم سكون . ومستيقظا وهم رقود . ونصائح المواعظ الحديدية تصدم رؤوس غفلتهم . فلا تفتح اليقظة عينها ولا يفيق الشعور من غشيته .

النتيجة :

سارت بهم سفينة الحياة سيراً مضطربا فى أمواج المكاره . وكم قذفت بها رياح

التعاسة على صخور الانحلال ، والاختلال ، والاضمحلال والاختلال . ولولا بقية من الحياة المتماسكة ، لكانت فى قرار مكين من الوبال . ولم يبق فيها موضع من مواضع الحياة الا سكنه داء عضال . ولا منفس الا شرق بغصص العلل والوبال . بعد وفاة الجدود الفضلاء .

أين منابع الثروة من زراعة ، وصناعة ، وتجارة ؟ ؟ أما الزراعة فعلينا خسر اعمالها الشاقة . وللاجانب ثمرات ربحها الهنىء . بما طوقوا جيد منابتها من الاطواق الذهبية (الديون) وجيناه من ذنوب الاسراف التى أرهقتنا بالافلاس . وأما الصناعة فليس لنا منها الا التافه الحقير ، يكلف شططا ، ويباع ويشترى بثمن بخس . وما كان فيها جليلا غلت يديه أغلال الصناعة الاجنبية التى بهرت العيون وملأت النفوس روعة وحسنا واتقانا أما التجارة فنحن فيها عالة على الأجانب لا نتناول إلا ما تفضلوا به علينا بعد أن يكون الربح لهم مضاعفا أضعافا كثيرة

وهل يمكن أن تحل بأمة حالة تسمى بالموت أكثر من أنها لاتستطيع أن تنتفع بغلتها فتخرج منها هنية رخيصة وتعود اليها ذات خطر ثمينة

خذ لك مثلا

قنطار القطن يباع بثمن بخس و يعود اليها بعد الخروج منها بنحو مئات من الذهب بل الألوف لأنه رجع خلقا جديدا بما ابدعته يد الصناعة وقس على ذلك كل مرافق الحياة فان فيها المثل السيء للخمول او الموت (ولولا الأمل ماكان العمل)

ثم مازالت مصر ملفوفة فى أكفان الموتى حتى مزقتها تلك الصدمة العنيفة التى زلزلت بناء العالم وغيرت وجه الارض وثلث عروش الملوك ذوي التيجان وأدمجت أمماً كثيرة فى أمم أخرى كانت فى خبر كان

وهاهى مصر الآن قامت تسترجع مجدها وتفكر في ماضيها وحاضرها وقد هب أهلها ينشدون السعادة ويتمسكون باسباب السيادة بنشر الآداب وانشاء الاندية وعقد الشركات واتخاذ الاتحاد شعاراً والائتلاف دثاراً فعسى أن يوفق الله أهلها إلى التمام حتى يعيدوا مجد مصر ومقامها بين الأمم

وما أحقهم ان يتدبروا قول شاعرهم العظيم ذى الذوق السليم حافظ بك ابراهيم

تنبيها للاقوام الى ما يجب أن يلتفتوا اليه من هذا المقام حيث قال مخيباً للآمال لاصلاح الحال .

ممالك الشرق أم أدراس أطلال ... وتلك دولاتها أم ربعها الخالى
أصابها الدهر إلا فى مآثرها ... والدهر بالناس من حال الى حال
وصار ما تبتغى من محاسنها ... حديث ذى محنة عن صفوها الخالى
اذا جفا الحق أرضاها ان جانبها ... كأنها غابة من غير رئبال
وان تحكم فيها الجهل أسلمها ... لهالك من عوادى الذل قتال
نوابغ الشرق هزوه لعل به ... من الليالى جمود البائس السالى
ان تتمخر افيه من روح البيان ومن ... حقيقة العلم ينهض بعد اعضال
لاتطلبوا حتكم بغيا ولاصلفا ... ما أبعد الحق عن باغ ومحتال
ولا يضيعن بالاهمال جانبه ... فرب مصلحة ضاعت باهمال
كم همة رفعت جيلا ذوى شرف ... ونومة هدمت بنيان أجيال
والعلم فى فضله أو فى مفاخره ... يكن الممالك صدر الدولة الخالى
اذا مشت امة فى العالمين به ... ان لها الله ان تمشى باضلال
يقل للعلم عند العارفين به ... ما تقدر النفس من حب واجلال
فقف على أهله واطلب جواهره ... كناقد لؤلؤاً فى كف لآل

هذا وان ظواهر الأمور وموارد الأحوال تبشر بحسن الحال والمآل . فقد نهض الشرق نهضة سريعة مبناها توسع دوائر الشركات مع اختلاف أنواعها . وتأسيس عوامل الارتباط والاتحاد بين عناصره المتعددة وترقية وسائل التعليم والتهذيب . مما دل على أن سبب تأخرها العارض يرجع الى اختلاف الآراء وتعدد المذاهب وأعمال الأيدى الخفية . وحركات الدخلاء المستترة . فالآن وقد تنبهت النفوس واستيقظت الأفكار . نرجو ان يصلح الله الحال ويهيء الخير ويتم النعمة على مصر وأهلها وتنشد تقول

سعد الزمان وساعد الاقبال ... ودنا المنى وانقادت الآمال

وأن من يقرأ الجرائد المصرية اليوم يسر خاطره . ويشرح صدره . بما تفيض

به أقلام الكاتبين من البشائر السارة وقد قيل .

(بشائر الأحوال دالة على حسن المآل)

وعلى ذكر مصر ومجدها وما ينتظر أن تعود اليه من سابق سعدها اذكر من دلائل سعادتها . والشواهد الدالة على حسن عاقبتها مايقر العيون . ويشرح الصدور ويسر النفوس . ويذهب عنها الأتراح والبؤوس . فقد تبدل الخصام وئاماً . والانقسام التئاماً . وزال الخلاف . وجاء الائتلاف . وأبيد الابتعاد . وحل محله القرب والاتحاد واشتدت نهضة الجماعات والأفراد . بما يجلب لمصر وأهلها الخير والاسعاد . ولكل وجهة هو موليها ، ولكنها كلها ترجع الى هناء وصفاء وارتقاء البلاد . واليك طرفا من الشواهد الدالة على مايكون من جم الفوائد .

لك من رجالك في غد يا ليل ... نخر يرد الطرف وهو كليل

يا أيها المصرى حسبك مامضي ... أسفا فطرفك بالهموم كحيل

فاذكر خطوبك بكرة وعشية ... ان التذكر للنهوض سبيل

والمجد تبنيه المعارف والتقى ... والاتحاد بما تريد كفيل

لولا تآزرنا ونهضتنا معا ... ما كان يشفى للبلاد غليل

واليك نشيد الأطفال الذى يحقق الأمانى والآمال .

وكن محبا للوطن المعظم ... ذا غيرة عليه فى التقدم

فحبه عد من الايمان ... وبغضه من أعظم الخسران

وأبذل لهذا الخلق المحمودا ... حتى يكون طبعك المحمودا

فلا ينال المرء من فلاح ... حتى يرى الأوطان فى نجاح

فخيرها خير لكل واحد ... من أهلها من واجدا وفاقد

فما نجاح الأمم الغربية ... إلا بهذه الخصلة السنية

وباكتساب العلم والفنون ... وغير ذا من واهن الظنون

فأصبحت ديارهم جنانا ... غنية وعزها مصانا

وقد غدوا أعز الملوك ... أعاظم الغنى والصعلوك

وكل ذا من حبهم للوطن وكسبهم لكل فن حسن
هذا هو التمدن المحمود اليه يسعى الطالب السعيد

من مثل هذه الأقوال . التى يتحلى بها أعاظم الرجال . فى خدمة البلاد بالجد والاجتهاد . ورحم الله تلك النفس الزكية . والروح الشريفة العلية . التى صال صاحبها وجال . في ميدان الكمال . وأتى من جلائل الأعمال . بما لم يأت به الكثير من أعاظم الرجال . ذلك الكامل فى سيره وسيرته . المختار من بين قومه وعشيرته الذى تحمل فى خدمة مصر أعظم عناء . وأبلى فى سبيل عزة وطنه مصر أحسن بلاء . ونشر للعلم فيه أرفع لواء . (مصطفى كامل باشا) الذى كان يردد نشيده يوم صباح كل مساء قوله :

بلادى وحسبي أن أقول بلادى فيدرك عشاق الكمال مرادى
مواطن إجلال وان خالها العدى مواطن إذلال ودار فساد
أحن اليها والمنون بمرصد فيحيي حنينى فى سبيل بلادى
وهبت لها عهد الشباب فان ذوى وهبت مشيبي فى سبيل بلادى

ولا حرج علينا ولا ملام اذا سمعنا معانى هذه الأناشيد بالأغانى من الممثلين والممثلات فى هذه الأوقات حين تشخيص الروايات التى يمثلونها بدلا من أغانى الحب والغرام والعشق والهيام حتى يستفز الجبان قبل الانسان فى حب الأوطان

الاتماجور قاسم هلالى
ضابط أركان حرب

شرق بلا قاف وبلاد بلا دال

الواقع أن بضاعة الأدب ليست رايجة في الشرق ولا تطعم خبزاً ولا تسقى ماء بخلاف الأديب في الغرب فانه يرى من تكريم قومه له ما يشجعه على الاقطاع في مهنته الادبية وأما في الشرق فيصدق قول من قال وأجاد في المقال

حياة كلها تعب ... ورأس أصله الأدب

وقول آخر

عتبت على الدنيا لخسة قدرها ... بتأخير ذي فضل فقالت خذ العذرا

بني الجهل اولادي لهذا رفعتهم ... واولاد علمي اولاد ضرتي الأخرى

وهل بعد هذا يجوز في شرع أي شرقي ان الرجل المسمى بالعربي صاحب بيوت الدعارة يموت ويترك لورثته مبلغ ٢٠٠ر٠٠٠ مائتين الف جنيه غير الدور والقصور الشاهقة والسرايات الباذخة ولعمري لايحصل هذا إلا في بلاد الشرق حيث يموت الشيخ نجيب الحداد والشيخ احمد مفتاح والشيخ محمد النجار وإمام العبد والأديب طانيوس عبده بؤساء تعساء ولم يقم من بين تلامذتهم الذين تعلموا فهم الآداب والفضيلة من يكافىء احدهم ولو بكلمة عزاء او رثاء للأدب وأهله

وقال لي ذات يوم الشيخ نجيب الحداد ماهو آت

إن من رزق العقل اكتفى بالفضل دون المال . فما رأينا غنياً يأكل الذهب ولا فقيراً اديباً يطعم الحطب . ولا ثرياً يجعل ثوبه عقيانا . ولا فاضلا مشى عريانا فمن ربح الفضل غبط . إذ يرى عمل غيره حبط . نعم إن البديع والبيان لاتشترى بهما الأطيان . والهندسة والحساب . والكيميا وعلم الاصطرلاب . قليل ان توسع مادة الاكتساب فلو أتيت الجزار بديوان مبيار والدر المختار ومفردات ابن البيطار ووسائل الابتهاج ومخترعات ابن الحجاج ومعاهد التنصيص والتهذيب والتلخيص ومجمع الميداني وأجزاء الأغاني وما يتبعها من كتب العلوم لرأى أنه مغبون إذا باع اللحم

بالفنون وعلمك هذه الأسفار وقال لك إذهب بها الى العطار فان أعطاك قطعة صابونة برسالة ابن زيدون أو درهما من الطيب بمعنى اللبيب أو بعض التوابل فى أنساب سوريا وبابل فتعال وخذ الساطور والوضم والمطقى بهما الى العدم ثم خذ القاموس والصحاح ولسان العرب . والمصباح . والمنهاج والمفتاح والبهجة والايضاح . والزبد والمنجول والروض والحصول . ومجمع البحرين والمحيط ومفتاح الغيب والوسيط ولسان التأويل وروح البيان واسرار التنزيل وكامل المبرد والتجريد : والمواقف والعقد الفريد والطالع والمقاصد وإذهب بها إلى الخضرى والزيات والبقال فان أعطوك من بعض البقول أو جانباً من أم الخلول أو درهما من الزيت توقد به المصباح فى البيت فخذ الخطاف والسكين واجعلنى عبرة المعتبرين

ولا يغرنك من البضاعة . كساد . هذه البضاعة فان شرف الانسان موقوف على العرفان . وإنك وان فارقت صاحب البيرة ولزمت ساحة البيت الصغيرة . وقعدت على الحصيرة . فعما قريب تنجلى شمس الكروب وتمحى آثار الخطوب . وتقطع نحر العسر . بسيف اليسر . وبخ بخ فتجلد ولا تكن من القانطين . واصبر فان الله مع الصابرين وإلا

كبر على العلم ياهلالى ... ومل إلى الجهل ميل هايم
وعش بليداً تكن سعيدا ... فالسعد فى طالع البهايم

وبعد أن قال ذلك رد عليه المرحوم إمام العبد قائلا

ياصاحبي دع عنك قول الهازل ... واسمع نصيحة عارف بالحاصل
اجهل تجد صفو الزمان فانه ... من تسعة الفر الغبي الجاهل
ودع التعقل بالتغفل يستقم ... أمر المعاش فحظه للقافل
وارض البلادة تغتنم من بابها ... مالا وجاها بعد ذكر خامل
قلب تواريخ الالى سبقوا تجد ... دنياك ماقيدت بغير العاطل
تجد الأفاضل فى الزوايا كلهم ... حال الحياة وبعدها بمحافل
هل أبصرت عيناك ديواناً به ... مدح البليغ جميل سعد حافل
إن قلت أى فاذكر لنا من ناله ... أولا فعش كالناس فى ذا الساحل

ضدان لاتلقاهما فى واحد مثل الغبي وحكمة لقماطل

ولما كنت ضابطا عسكريا وجعلت دمى فى ميادين القتال يسيح لتأييد الشرف والفضيلة فقد أقفلت سبعة منازل للدعارة فى خط سيدنا الخضيرى القاطن به الشيخ عبد الرحمن الشربينى شيخ الأزهر الشريف ومحمد باشا قدرى ناظر الحقانية و يوسف باشا سرور وحسين باشا واصف ونجم الدين باشا وراشد باشا حسنى . . . الخ

ورأيت من هؤلاء الرجال جيراني الحمد والمدح والشكر فقد كان هذا عندى أخير وأعظم من الدرهم والدينار الذى يجلب الأنسان منهما إلازدراء والخسة والعار ولذلك قلت

لاتدخر غير العلوم فانها نعم الذخائر
فالمرء لو ربح البقاء مع الجهالة كان خاسر

وناهينا بقول من قال

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طما الخطب حتى غاصت الركب
الله أكبر ما هذا المنام فقد شكا كم المهد واشتاقتكم التربة
فيا لقومى وما قومى سوى عرب ولن يضيع فيهم ذلك النسب

وعسي أن هذا الكلام الذى هو أشد من وخز السهام فى أجسام بعض اللئام الذين لا يعرفون قيمة الأدب والعلم وأهله ان يلهمهم الله الى معرفة أن العلم نور والجهل عمى عند الأغنياء الأغبياء الذين يقولون

ارقص لقرد الجهل فى قعدته وخل طبعك مثل طبع القرود
واترك كلام العلم من فكرتك وخليك لأهل الجهل أول ودود
وإن كنت تبغى فعل أهل الـ ـعلوم تقرأ زبورك عند من يا داود

ومن الأسف وألف أسف على أسف أن تعداد القطر المصري سبعة عشر مليونا من الأنفس ولم يقرأ ويكتب فيه غير ربع مليون أو مليون أو مليون ونصف مليون ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم إذ بيوت الدعارة أربح من مهنة الادب والأمارة

من الاخرة الى الدنيا

اذا أراد الله بعبد من عباده خيراً من الهناء والسرور هيأ له من الاسباب مايحقق آماله وأمانيه . ويسعد أيامه ولياليه ، ولقد رزقنى الله بزوجة جميلة شرحت صدرى واذهبت عنى كدرى ، وخففت على ما كنت أقاسيه وأعانيه من آلام الحياة ومنغصات الزمان وما كنت أناله من قساوة بعض بنى الانسان ولطفت مابى من لوعة الوجد وشدة الهيام بسبب فراقى لاخوانى الاحبة الذين كانوا معى فى مدرسة أركان حرب العليا اولئك الذين أتاهم الله من فرط الحسن وباهر الجمال مايبهر اللب ويدهش العقل فى مواهب وصنع المنعم المختار

وانى لكونى مهندساً درست النسبة والتناسب فقد يكون عندى فكر خاص به وأدرك معنى الجمال الذى لاافسره بغير تناسب الاعضاء واتساقها . وحسن تقاربها وارتباطها ومناسبة كل عضو للآخر وقد فيض الله تعالى لى هذه السيدة التى رأيت من محاسنها وعظيم مااختصها الله به من المواهب والفضائل والمحاسن ماجعلنى اقول

حازت من الحسن مالاحازه بشر فلذ لى فى هواها السمع والبصر
انسية حار قلبى فى محاسنها فلا هلال ولا شمس ولا قمر

ولا ابالغ إذا قلت ان حبها امتزج بحبي واتحدت روحى وروحها وصرنا كأننا تنطبق علينا تلك النظرية الطبيعية : والمظاهر الجلدية المتعلقة بالسيالات الكهربائية والقوى المغناطيسية ، وهى اذا تقابل سيال كهربائى موجب مع سيال سالب يحدث بينهما تنافر قوى وتدافع شديد وو . . . الخ وإذا كان السيالان المتقابلان موجبين حصل بينهما تجاذب وتقارب واتحاد بمقتضى توحد القوتين وتماثلهما . فكأن سيال الحب الذى من جهتى اتحد مع حبها بالايجاب فاتفق الميلان . واجتمعت العاطفتان وصرت اشعر من محبتها بمثل ما تشعر هى به من محبتى .

مكثت مع هذه الزوجة نحو اربع سنوات في هناء وصفاء ورزقت منها بولدين

وبنت ثم نادى منادى الفراق بحى على الطلاق حتى افترقنا مرغمين يبكي كل منا على قرينه ومن الاسف ان امها واخاها وخالها كانوا مرتاحين لذلك رغبة فى كثرة الزواج والطلاق جراً للمغنم وسعيا وراء فائدتهم الخاصة وان عاد ذلك بالضرر عليها لانهم قوم تربوا تربية غير عالية إذ نشأوا نشأة غير نشأتها ووجدوا فى وسط غير الوسط الشريف الذى درجت هى فيه ، وقد مات والدها وصار هؤلاء الاوغاد وكلاء عنها

اخ يخون وخال لاوفاء له والام ليس لها قلب ولا كبد

وليست محبتى لهذه الزوجة كانت ناشئة من دواع خاصة انفرد بها أنا ادراكا دون غيرى بل كان بها من معانى الفضل وخصائص التميز مايحبب فيها كل انسان ويدعوه الى التسابق للاقتران بها ومما يؤيد ذلك انها بعد انفصالها عنى بالرغم منها ومنى اقترن بها رجلى من الاعيان أصحاب الاطيان بصداق قدره ٦٠٠٠ جنيه غير الشبكة والسمسرة والهدايا والعطايا ١٠٠٠ جنيه ولكن كانت آخرته مع أمها وأخيها وخالها مثل آخرتي معهم وقد توفى إلى ... ورجل آخر بصداق ٣٠٠٠ جنيه وغيره بما مقداره ألفان وو .. الخ وكأن ماعطيته هذه السيدة من باهر الجمال هو سبب فى ما توالى عليها من الوبال كما حصل لكثير من الناس فى سالف الاجيال وناهيك بالشدائد التى انهالت على سيدنا يوسف عليه السلام الذي كان يضرب بجماله الامثال

وكنت كلما هاجت عندى ذكراها أتمثل بقول القائل

كل حال لضده يتحول فالزم الصبر إذ عليه المعول
يافؤادى استرح فما الصبر إلا ما به مظهر القضاء تنزل
قدر غالب وسر الخفايا فوق عقل المهندس مهما تكمل

تزوجت هذه السيدة ستة. وأصبحت ولها من الاطفال عدة . وقد صدق الحديث الشريف (كل ذى نعمة محسود) وأقوال العلماء

وكم فى الارض من خضرا ويابسة وليس يرجم إلا ما به الثمر
وفي السماء نجوم لاعداد لها وليس يكسف إلا الشمس والقمر

ولا يؤاخذني القارىء . ولا يعتب على من كوني أتيت برسالتى هذه بسيرة

الزوجة وذكرت من محاسنها وجمالها وظرفها ولطفها ، التى ينبغى أن تكون سرا من الأسرار ، لايصح أن يتعدي أبواب الدار فاعل لى عذراً وأنت تلوم ذلك انى لم ألجأ إلى هذا الأمر إلا ليتعظوا الناس ولا يوقعوا أنفسهم فى التباس . وليتنبهوا إلى ان العرق دساس . وليحذروا من شر كل وسواس خناس يعمل على العداوة والتفريق . بين كل رفيق ووفيق و يسهل عنده الاكثار والتزويج والتطليق راجيا من المولى عز وجل . أن يهدى أمتنا إلى الطريق الامثل . ويوفقها إلى الأخذ بالآداب والتمسك بماحسن فيها وطاب . والى معرفة أن النسب عصب حتى تبعد الامة عن أمثال هذه المثالب التى جعلت بلاد مصر بلاد العجائب والغرائب . انه على مايشاء قدير وبالأجابة جدير .

وقد انطقنى لسان الحال . بهذا المقال شرحاً لهذه الاحوال . ليكون عبرة وعظة للجهال . الذين يندفعون بجهلهم ، فى المتاجرة بأعراضهم كأنها سلعة تباع فى الاسواق كما رأيت من أقارب هذه السيدة الذين كان ديدنهم معها التزويج ثم الطلاق . وبئست هذه الاخلاق . التى تدل على عدم التربية ورداءة الاعراق . فاسمع وعى أيها الاديب اللوزعى ، عظة وعبرة . لمن كان ذا فكرة ، فى مثل هذه النادرة المضرة ومن رأى بلوة غيره هانت عليه بلوته . مما هو جارى فى بلدته ، أصلح الله الحال بجاه الانبياء والآل بهذا المقال

أمنية النفس ذات البهاء واسمى هلال لها زانها
سبحان من أبدع شكلها وكتب الحسن على ذاتها
ذات جبين واضح لامع شريفة النفس ومن لى بها
اللحظ منها ساحر للنهى والخد فيها وردة تشتهى
وفي خدها خال كنقطة عنبر تشام به كل المحاسن والبها
وبينا فؤادى بالهنا متمتع وصدرى مشروح كذا صدرها
إذا بذئاب الاسى كشرنا بهم عن الشر والتفريق بينى وبينها
أولئك هم . ام كذلك خالها ويتبعها أخ كفيف شقيقها
سعوا فى الفساد كلهم وتعصبوا بقصد مهور يأخذون على اسمها

يريدون تزويجا لها متعددا وان ضرها هذا القران وساءها
وجاءوا بمأذون ليشهد مكرهم وحرر اشهاد الطلاق برغمها
فقد كنت لارضى بذاك ولاجرى بفكرى هذا الامر بل وبفكرها
وغادرت اطفالا لهم نفقاتهم على وقد اديت باقى صداقها
وقد زوجوها بعد ماقد تركتها بستة من الجهال ساءوا عشيرها
فبئس اولاد المفسدين وويلهم ولا حبذا من كان يقصد ضرها
اولئك قوم خلفوا الحزن والاسى وكانوا هم الاسباب فى تنغيصها
وهم عصبة الاشرار لارد درهم ولا متعوا يوما بشيء يسيئها
نعم قد أساءوا عشرتى وتسببوا لنا فى هزال الجسم منى وجسمها
ويكفيك من شر ذا نحال انه وظيفته ربح الخراف وسلخها
ومن ذا الكفيف انه كان يقرأ لها المال والبنون زينة لحياتها

ويا ليت كل من وقعت له حكاية غريبة مثل هذه فى مباشرة التزويج والتطليق والتفريق بين كل وفيق ورفيق يراسل الجرائد والمجلات ليظهر الحق ويعلوا نوره ويختفى الجهل وينمحى جوده والله الهادى

الاتماجور قاسم هلالى
ضابط أركان حرب

الموعظة الموفقة

رب سارة ضارة — ورب ضارة سارة

للشرقى أفكار غريبة عن المرأة ليست مؤسسة على قواعد معقولة . ولا راجعة الى أسباب قوية صحيحة فهو يقول — ان جمال المرأة يسره . وعلمه يخيفه ويضره لأن جمالها يعطيها كل قلبه . وتملك به أقطار لبه . وأن محاسنها خير شفيع عنده . فى غفران ذنبها . وأكبر مبرر له فى مسامحتها . مهما أتت من المآثم . وارتكبت من الفضائح على حد قول القائل :

واذا الجميل أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

هكذا يقول كثير من الشرقيين ويتساهلون فى واجبات المرأة التى هى أم البنات والبنين وعليها مدار السعادة أو شقاء العالمين وغفلوا عن ضرورة التناسبات الخلقية والادبية والعلمية والكمالية فى سبيل الجمال ونحوه من الأمور العارضة والصفات الذاهبة التى ليس لها تأثير كبير ، فى السعادة القومية ، والحالة الاجتماعية الادبية

وفاتهم أن صفة الجمال . لو انضم اليها الكمال لتحققت الآمال . وعم الخير والنوال لجميع النساء والرجال . فحب الجمال الخلقي فى النساء لا ينبغى أن يعوق الرجل من التطلع الى سواه من صفات العلم والادب وكل ما يعود على المرأة بالفضل والنبل والشرف والطهارة والعفة

انا من الذين لا يرغبون فى مساواة المرأة الشرقية بالمرأة الغربية ولا أطمع فى اعطاء الاولى مالثانية من الحقوق التى ساوتها بالرجل تماما . بل أريد اذا كانت المرأة الغربية تجرى فينبغى أن الشرقية تمشى . وان كانت الاولى تمشى فيجب على الثانية أن تحبو . حتى تفتح كتابات الآمال لتحقيق ما نرجوه من الاماني في الاستقبال وسبحان مغير الاحوال القادر على تغيير الحال غير الحال بما يضمن لنا حسن المآل . ويرفع عنا عاراً كبيراً تتضمنه أمثال هذه الاقوال

ليت شعرى متى أرى فى بلادى كوكب العلم والمعارف سائر

فرجال لا يعرفون سوى صو ف وكشمير وحرائر

ونساء يبحثن لكن على ثو ب وقرط وأساور
فاذا الجهل قد عم بين قوم أصبح العلم عندهم كساحر
من تبصر فقد ظفر

يتبين مما قدمناه أن إصلاح الامم فى المجتمع الانسانى انما يكون بتربية المرأة وندعوتها الى الخير . وتدريبها على الكمالات . لأن هذا هو سر استواء الامم على عروش السعادات . وتحيين سوانح للغربي الذى يتحمل لنفسه حق الرعاية . والوصاية على الشرقى اذ يرمى الشرقى بالقصور . ويسمه بالعجز وعدم الثبات ويصفه بأنه من طبقات منحطة وخلق وضيع . وما به حطة . ولا ضعة إذا آثار آباءه تنطق السنتها وهى صوامت . وتفصح نقوش صورها وهى جوامد بانه إذ كي أحلاما . وأوقد إفكاراً وأشد فراسة . واسرع ادراكا واحكم نظاما وأعرق مدنية وحضارة . واسبق هداية الى الخير بالمرأة التى هى العنصر الاصلى بالقول المأثور وهو « الجنة تحت أقدام الامهات » وناهيك ماينبيه هذا الكلام من اعلاء شأن المرأة . والتنويه بفضلها والسعى فى طاعتها وامتثال أمرها

أفلا تعلم ايها المطالع أن فى طى هذه الجملة حثاً على تربية المرأة وأمراً ضمنيا تهذيبها وطبعها على قالب الكمالات الانسانية التى تعلوا بالامة علواً كبيرا بما تبرزه فى رياض نفوس أبنائها من الفضائل . حتى ينشأوا على المحامدة التى تسعد الامم والشعوب وكفى بهذا القول أن تكون المرأة فى أعلى عليين ، بل مقربة الى الملائكة المقربين . إذ ظهر منها رجال أبطال لايزول ذكرهم على توالى الاجيال

(ملحوظة) وهى انى اذا الححت فى تعليم المرأة فلست أقصد بذلك فائدة واحدة بل فوائد عديدة . ومادية وعلمية . وعمرانية . وحياة سعيدة هنية ومعاشرة انسانية . ومكارم أخلاق شرقية . تضيق عن حصرها الاوراق .

الزواج

يحجم الكثيرون عن الزواج فى هذه الايام وما ذلك إلا لطمعهم فى امرأة ذات ثروة وهذا مالا نعده رجولة لأن العاقل يجب ان ينزه نفسه عن الطمع فى مال المرأة كي لايكون سببا لتكد عيشه وسوء حاله فى أشغاله

وقد قال احد العقلاء من ذوى الأخلاق الكريمة الراقية لزوجته التى هى من ذوات الملايين. سأرطب قلبى بحبك وأهواك أنت وحدك لأجل ملايينك وقد احسست بان اعصابى كلها تهتز وقلبى يتوهج شوقا إلى ان تكونى بين ذراعى وان احترامى لك كامل روحياً وعقلياً وجسمياً لأن الخلق الحسن والتربية الصحيحة والمحافظة على المبادىء القويمة والميل الغريزى الى الكمال كل ذلك مما يجب أن يفتن الرجل فى امرأة لا المال أو الجمال

ومن الأسف ان كثيرين من الشرقيين تزوجوا بزوجات أجنبيات بحجة أن الأجنبيات أكثر علما وتربية من بنات دينهم ومذهبهم ووطنهم وملتهم ومشربهم وفاتهم ان بناتنا الآن أصبحن بفضل التعليم والتربية الشرقية يشار اليهن بالبنان فى نوادى الآداب والمعارف ومواقف الفطنة والتهذيب زيادة عن ما كانوا عليه من الذكاء فى الحالة الفطرية قبل ذلك

تنبيه وجيه لكل فتى نزيه

خلق الله المرأة لتكون ملاكا كريما رحيما محبوباً مطلوباً مرغوباً شريكة الرجل فى الحياة والممات ، والسراء والضراء ذات شعور حى وفكرة وقادة بحيث اذا اطلعت على شىء أدبى ارتسمت صورته فى ذهنها وتشبع به قلبها ولذلك وجب أن تكون ذات عفة نفس وكرم أخلاق ذات جسم حساس طيبة هينة لينة سهلة العريكة متحلية بحلية الآداب حائزة كل ما يستحب من الصفات الحميدة وأن أفخر تاج يزيدها جمالا وكمالا هو الأدب وما يجعلها من الملائكة المقربين هو القلب وحرية الضمير وطهارة الطوية

نصيحة دينية صحيحة

منذ ماحل نابليون امبراطور فرنسا مصر جمع قواده وقال لهم لقد اكتسبنا بمحاربتنا ام الدنيا ووردة الكرة الارضية واعظم وأغنى بلد فى عالم الانسانية ولكنى أقول بان سبب هذا النصر والفوز الفخم هو بزوجاتكم وبناتكم وأمهاتكم اللاتى ودعتكم حين عزمنا على السفر من فرنسا إلى هنا وجدتهن يشجعنكم فى نفوسكم ويبثن فى نفوسكم البطولة والشجاعة والفروسية وو.. الخ وإلا لو بكين وحزن لكان كسرنا أمام عدونا بدل نصرنا وافتخارنا وليكن فى علمكم أن المرأة هى سبب الخراب

والعار بل هى حياة الارواح ومزيلة الشرور والانزاح. ومجلبة السرور والافراح. بدليل أنى وجدت أن العسكرى الذى يصاب برصاصة وتخرجها أمرأة طبيبة يكون فى غاية السرور والامتثال بخلاف خروج الرصاصة منه بيد رجل مثله كذا الغليل الذي تشمئز نفسه من مرارة الدواء فانه يقبله بكل ممنونية من يد المرأة اللطيفة الحنونة الشفوق وكذا السقيم الجريح فى سريره لايجد من يسهر عليه ويواسيه فى ليله ونهاره وغلبه واكداره سوي المرأة الصبورة الساهرة على راحته حتى ينال تمام الشفاء وصحته ولا حرج إذا قلت لكم أن المرأة هى العنصر الاصلى فى السعادة والسيادة

ولا يغيب عنكم أننا فى مصر التى علماؤها يقولون أن الشمس مؤنثة والقمر مذكر بخلاف علماء الغرب الذين يقولون أنها مذكرة والقمر مؤنث ولا بدع إذا قلت أن المرأة هى الشمس التى هى ينبوع حياة الانسان والحيوان والجماد والنبات . . ولما برغ نابليون من هذا الكلام ردوا عليه قوله السامعون بقولهم :

إذا كان النساء كمن عنيت لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

ولا يفوت على الأدباء العقلاء ، والشبان المتعلمين الاذكياء . النبهاء . النبلاء . العظماء الاوفياء . الاحرار الابرار . أهل الاحساس والشعور والادراك ماقالته احدى النساء ، وسمعها أميراً من الامراء تغنى وتقول لاهل الاحساس والعقول المضربين عن الزواج :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه وأرقنى إذ لاخليل ألاعبه
فوالله لولا الله أخشي عواقبه لزلزل من هذا السرير جوانبه
مخافة ربى والعفاف يصونني وأخشي على والذى تنال معائبه

وفى النهاية كفاني زجراً وصدعا وتنبيها قول المرأة التى توفى زوجها إذ قالت لشاب ينظر إلى محاسنها :

مغزل حماتى سقط وقعت تقافيله أما تنظر الديك والفرخة تقافى له

وهذا القول أوجد عنده حماسة وغيرة وحمية ونخوة فتزوجها من أبيها واكتسب عندها اسم الزوج المؤدب ذو الشعور الحى حتى قال :

حتى النساء نهضن فيمن قد نهض وبذلك زال الداء واندثر المرض